ونفس حاير في قطب هلال داير فقد ايقن بمفارقة اهله ووطنه فاذعن بانتزاع روحه عن بدنه حتى اذا تحقق منزل البأس
وحل به المحذور والباس اومأ الى خاص عواده موصيا لهم باصاغر اولاده جزعا عليهم من ظفر اعدائه وحساده والنفس بالسياق
تجذب والموت بالفراق تقرب والعيون لهول مصرعه تسكب والحامة عليه تعدد وتندب حتى تجلى له ملك الموت
من حجبه فقضى فيه قضاء امره فغادره الجليس واوحش منه الانيس وزود من ماله كفنا وحصل في الارض بعمله مرتهنا
وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان مقيما بين قوم كانوا فزالوا وحوت عليهم الحادثات فحالوا لا يخبرون بما
الوا ولو قدروا على المقال لقالوا اقد شربوا من الموت كأسا مرة ولم تفقد من اعمالهم ذرة والى عليهم الدهر الية برة ان
لا يجعل لهم الدنيا كرة كانهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة اسكتهم الذي انطقهم واباده الذي
خلقهم وسيجددهم كما اخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الله الظالمين لنار جهنم
وقودا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا **الاصل** ومن خطبة
له ع الذي لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة
غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر
غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره
يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه
لتشديد سلطان ولا لخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن
خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها باين لم يؤده
خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن
وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **الشرح** يصم بفتح الصاد لان الماضي صممت يا
زيد والصمم فساد حاسة السمع ويصمه كبيرها يحدث الصمم عنده او صممت زيدا والند المثل والنظير والمثاور
المواثب والشريك المكاثر المفتخر بالكثرة والضد المنافر المحاكم في الحسب نافرت زيدا فنفرته اي غلبته ومربوبون
مملوكون وداخرون ذليلون خاضعون ولم ينأ لم يبعد ولم يؤده لم يتعبه وذرأ خلق وولجت عليه الشبهة بفتح اللام
اي دخلت والمرهوب المخوف فاما قوله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا فيمكن تفسيره على
وجهين احدهما ان معنى كونه اولا انه لم يزل موجودا ولا شيء من الاشياء بموجود اصلا ومعنى كونه اخرا فانه باق لا يزال وكل
شيء من الاشياء يعدم عدما محضا حسب عدمه فيما مضى وذاته سبحانه ذات يجب لها اجتماع استحقاق هذين الاعتبار
معا في كل حال فلا حال قط الا ويصدق على ذات يجب كونها مستحقة للاولية والاخرية بالاعتبار المذكور استحقاقا ذاتيا
ضروريا وذلك الاستحقاق ليس على وصف الترتيب بل مع خلاف غيره من الموجودات الجسمانية فان غيرها سبق زمانيه
فصاعدا اذا انتسابه الى ما بقي دون زمان بقائه لم يكن استحقاقه الاولية والاخرية بالنسبة اليه على هذا الوصف بل
اما ان يكون استحقاقا بالكلية ان يكون استحقاق قريب فيكون انما يصدق عليه احدهما لان الاخر يصدق عليه او
يكونا معا يصدقان عليه مجتمعين غير مرتبين لكن ليس ذلك لذات الموصوف بالاولية والاخرية انما ذلك الاستحقاق امر
خارج عن ذاته الوجه الثاني ان يريد عليه السلم بهذا الكلام انه تعالى لا يجوز ان يكون موردا للصفات المتعاقبة على ما يذهب
اليه قوم من اهل التوحيد قالوا لانه واجب لذاته والواجب لذاته واجب من جميع جهاته اذ لو فرضنا جواز اتصافه بامر حقيقي
ثبوتي او سلبي لقلنا ان ذاته لا تكفي في تحققه ولو قلنا ذلك لقلنا ان حصول ذلك الامر او سلبه عنه متوقف على حصول
امر خارج عن ذاته وعلى عدم امر خارج عن ذاته وتكون ذاته لا محالة موقوفة على حصول ذلك الحصول او السلب والموقوف
على التوقف على الغير متوقف على الغير وكل متوقف على الغير ممكن والواجب لا يكون ممكنا فيكون معنى الكلام على هذا
التفسير نفي كونه تعالى ذا صفة بكونه اولا واخرا بل المرجع بذلك الى اضافات لا وجود لها في الاعيان ولا يكون ذلك من احوال
ذاته الراجعة اليها كالعالمية ونحوها لان تلك الاحوال ثابتة ونحن انما ننفي عنه بهذه الحجة الاحوال المتعاقبة واما قوله ع

ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا فان الباطن والظاهر يفسر على وجهين احدهما انه ظاهر بمعنى ان ادلة وجوده واعلام
ثبوته والاهيته جلية واضحة ومعنى كونه باطنا انه غير مدرك بالحواس الظاهرة بل بقوة اخرى باطنة وهي القوة
العقلية وثانيهما ان نعني بالظاهر الغالب يقال ظهر فلان على بني فلان اي غلبهم ومعنى الباطن العالم يقال بطنت
سر فلان اي علمته والقول في نفيه ع عنه سبحانه ان يكون ظاهرا قبل كونه باطنا كالقول فيما تقدم من نفيه عليه السلم
عنه سبحانه نفي كونه اولا قبل كونه اخرا واما قوله ع كل مسمى بالوحدة غيره قليل فلان الواحد اقل العدد ومعنى كونه
واحدا يباين ذلك لان معنى كونه واحدا نفي الثاني في الالهية او كونه يستحيل عليه الانقسام وعلى كلا التفسيرين ينتفي عنه
مفهوم القلة هذا اذا فسرنا كلامه على التفسير الحقيقي وان فسرناه على قاعدة البلاغة وصناعة الخطابة كان
ظاهرا لان الناس يستحقرون القليل لقلته ويستعظمون الكثير لكثرته قال الشاعر يحميهم من كل اوب ووجهة
على واحد لا زلتم قرن واحد واما قوله عليه السلم وكل عزيز غيره ذليل فهو حق لان غيره من الملوك وان كان عزيزا فهو ذليل
في قبضة القضاء والقدر وهذا هو تفسير قوله وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك واما قوله وكل قادر غيره
يقدر ويعجز فهو حق لانه تعالى قادر لذاته ويستحيل عليه العجز وغيره قادر بعجز لامر خارج عن ذاته اما القدرة كما قال قوم
او لبنية وتركيب كما قاله قوم اخرون والعجز على من عداه غير ممتنع وعليه مستحيل فاما قوله وكل سميع غيره يصم عن لطيف
الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عليه ما بعد منها فحق لان كل ذي سمع من الاجسام يضعف سمعه عن ادراك خفي الا
ويتأثر من شديدها وقويها لانه يسمع بآلة الاجسام جسمانية والآلة الجسمانية ذات قوة متناهية واقفة عند حد محدود
والباري سبحانه تعالى بخلاف ذلك واعلم ان اصحابنا رحمهم الله اختلفوا في كونه تعالى مدركا للمسموعات والمبصرات فقال
ابو علي وابو هاشم ره واصحابهما ان كونه مدركا صفة زائدة على كونه عالما وقالا انا نصف الباري تعالى فيما لم يزل بانه سميع
بصير ولا نصفه بانه سامع مبصر ومعنى كونه سامعا مبصرا انه مدرك مبصر للمسموعات والمبصرات وقال شيخنا ابو القسم
وابو الحسين رحمهما الله واصحابهما ان معنى كونه تعالى مدركا هو انه عالم بالمدركات ولا صفة له زائدة على صفة بكونه عالما
وهذا البحث مشروح في كتبي الكلامية لتقرير الطريقين وشرح الغرر وغيرهما والقول في شرح قوله وكل بصير غيره يعمى عن
خفي الالوان ولطيف الاجسام كالقول فيما تقدم في ادراك السمع واما قوله فكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير
ظاهر فحق لان كل ظاهر غيره على التفسير الاول فليس بباطن كالشمس والقمر وغيرهما من الانوار الظاهرة فانها ليست انما
تدرك بالقوة العقلية بل بالحواس الظاهرة واما سبحانه فانه اظهر وجودا من الشمس لكن ذلك الظهور لم يكن لادراكه
بالقوى الحاسة الظاهرة بل بامر آخر ما خفي في باطن هذا الجسد واما على التفسير الثاني فلان كل مالك ظاهر على غيره
او على خصومه وما يدهم ليس بعالم ببواطنهم ولا مطلع على سرائرهم والباري تعالى بخلاف ذلك واذا فهمت شرح القضية
الاولى فهمت شرح الثانية وهي قوله وكل باطن غيره غير ظاهر فاما قوله ع لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانه الى قوله عباد
داخرون فاعلم ان الناس اختلفوا في لمية خلقه تعالى للعالم ما هي على اقوال القول الاول قول الفلاسفة وحكى محمد بن زكريا
الرازي عن ارسطاطاليس انه زعم ان العالم كان عن الباري تعالى لانه جوهره وذاته جوهر وذات مسخرة للمعدوم ان يكون
مسخرا موجودا قال وزعم ابن قيس ان علة وجود العالم وجود الباري قال وعلى كلا القولين يكون العالم قديما اما قول
ارسطو فلان جوهر ذات الباري قديما لم يزل وجب ان يكون اثرها ومعلولها قديما لم يزل واما على قول ابن قيس فلان
الباري موجود لم يزل لا وجوده من لوازم فوجب ان يكون فيضه واثره ايضا لم يزل هكذا قال ابن زكريا فاما الذي يقوله
ارسطاطاليس الان في زماننا فهو ان العالم لم يجب عن الباري سبحانه عن قصد ولا غرض لان كل من فعل فعلا لغرض كان
حصول ذلك الغرض له اولى من لا حصوله فيكون كاملا بحصول ذلك الغرض وواجب الوجود يقتضي فيض النظام منه قالوا وهذا
معنى قول الحكماء الاوايل ان علمه تعالى فعلي لا انفعالي فان العلم على قسمين احدهما ما يكون المعلوم سببا له والثاني ما يكون
هو سببا للمعلوم مثال الاول ان نشاهد صورة فنعلمها ومثال الثاني ان يتصور الصانع او النجار والبناء كيفية العمل فيوقعه
في الخارج على حسب ما تصور قالوا وعلمه تعالى من القسم الثاني وهذا هو المعنى المعبر عنه بالعناية وهو احاطة علم الاول الحق

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1